أحزان المساء

[مهداة إلى الروح الحبيب
من الروح الغريب .]

اشهدى يا نفس أطيافَ الغروبِ
وهى تفنى مثل أحلام القلوب
واندبى النور ، وضجّى بالنحيب
واهبطى فى هوّة الليل الرهيب

غابت الشمس ، وكانت منذ حينِ
تسكب الأفراح فى قلبى الحزين
فيُغنّى القلب فيّاضَ الحنين
أغنيات الشوق ، والحب الدفين

غابت الشمس ، ووارها المساء
فتولىّ الصفوُ عنى والرجاء
وطوانى الليل ، والليل فناء
وحياة القلب فجر وضياء

هكذا تذبل فى النفس الأمانى !
هكذا تنأى عن القلب الأغانى !
وأرى الأيام يطويها زمانى
فيهز اليأس روحى وكيانى

هكذا يمضى عن الدنيا الربيعُ !
فيجف النبع ، والزهر البديع !
والروابى الخضر يطويها الخشوع
وغناء الطير نَشْجٌ ودموع !

هكذا يمضى عن القلب الشبابُ !
فإذا العمر يغشّيه الضباب !
وإذا الآمال وهمٌ وسراب !
وإذا الجنّات قفرٌ ويباب !

أيها الليل لقد هجت انتحابى
فشربتُ الدمعَ ، والدمعُ شرابى
أفما يكفيك يأسى واكتئابى ؟
إن أكن أشكو بدمعى ، فلما بى

إننى يأيها الليل وحيدُ
ساهر ، والنوم عن قلبى بعيد
إن مضى همٌّ ، أتى همٌّ جديد
آه لو عشت كما كنت أريد

آه لو عاش فؤادى كيف شاء
لملأتُ الكون شدواً وغناء
ويح قلبى ! إنه ذاب بكاء
فهْو ينساب دموعا ودماء

إننى حى ، ولكنى دفينُ !
إننى حر ، ولكنى سجين !
أيها الليل : حياتى ما تكون ؟
أهى صمت ؟ أم غناء ؟ أم أنين ؟

من تراه طاف بالحزن علَيَّا ؟
فسقانيه ، وقد كنت صبيا !
ثم ألقى فى دمى همسا خفيا :
سوف تبقى هكذا ما دمتَ حيا !

من تراه يدرك السر المريعا ؟
من تراه يرأب الشمل الصديعا ؟
من تراه يبصر الروح الصريعا ؟
ويرى القلب ، وقد حال دموعا !

إننى أشتاق أن أحيا سعيدا
أترك السجن ، وأجتاز القيودا
وأرى عمرى ، وقد صار نشيدا
هائما فى الكون ، يرتاد الوجودا

آه لكنى أرى عمرىَ يفنى
وأرى قلبىَ فى الأسر مُعَنَّى
لست أدرى يا فؤادى لم جئنا ؟
كان أجدى لو بقينا حيث كنا

أين منى مجلسى بين الروابى ؟
فى مكان ضمَّ أهلى وصحابى
وبه الروح الذى يُروى شبابى
بالرحيق الحلو ، والشُّهد المذاب

ذلك الروح الذى يرجو إيابى
ويريق الدمع حزناً لاغترابى
كلما وافيته بعد الغياب
بالحنان السمح ينسينى عذابى

اين منى مجلسى عند الغديرِ ؟
وضياء الفجر كالماء النمير
والرُّبى نشوى بأنفاس العبير
وأنا أصغى إلى شدو الطيور

أين أيامك ياعهد الطفولهْ ؟
ومغانيك الندياتِ الجميله
وأنا أهفو إلى كل خميله
أقطف الزهر ، وما للزهر حيله

ذكريات الأمس ما أجملَها !
وهْى تُلقِى فى حياتى ظلَّها
إن أحلام شبابى كلَّها
هى منها ، وإليها ، ولها

أين ؟ لاشئ سوى الحزن المُواتى !
وطيوفِ اليأس حَوْلى حائمات !
وأمانى القلب حيرى باكيات !
يا زمانى . . . هذه كل حياتى !

غربتى طالت عن المَغْنَى الرطيبِ
غربتى طالت عن الروح الحبيب
وشباب العمر يفنى فى المشيبِ
آه لو وافيته قبل المغيب

فتحدثتُ إليه بشجونى
وتشكّيْتُ من الدهر الخؤون
ورأى السهد الذى حول جفونى
فسقانى الحب فى ظل السكون

غير أنى قد طوت عمرى القيودُ
والهوى فى مهجتى غضٌّ جديد
أترى الماضى الذى راح يعود ؟
فيغنِّى الحب ، والقلب يُعيد

قيدتنى ها هنا بؤسى الحياةِ
وهى تدرى أنها تقتل ذاتى
إننى طير حزين الأغنيات
يشتهى أفقا رحيب الجنبات

قيدتنى وهى تدرى أن عمـــرى
لم يُرد قيـــدا ، ولم يرضَ بأسر
وهى تدرى أن نفسى نفس حر
كضياء البدر يسرى حيث يسرى

أشتهى النور ، وأهفو للظـــلال
وأحب العيش فى دنيا الخيـــالَ
وأرى الدنيا كما طافت ببـــالى
وأنا نشوان من خمر الجمـال

ليس هذا العيش ما تهواه نفسى
ليس هذا الكون ما طاف بحسى
هات كأسى ، إننى أنسيتُ كأسى !
علّهـــا تُغرق آلامى ويأسى

هات كأسى ، ثم دعنى أتمنَّى
فالمنى كم داعبتْ قـــلبى فغنَّى
وإذا ارتاح إليهـــا واطمـــأنا
فانشر النوم علينا . . . ثم دعنـــا

ابراهيم محمد نجا